

## تاريخ الطب في الحضارات القديمة

## The history of medicine in ancient civilizations

د. سهلة حليلة<sup>1</sup>،<sup>1</sup> جامعة حسيبة بن بوعلي الشلف (الجزائر)، [h.sehla@univ-chlef.dz](mailto:h.sehla@univ-chlef.dz)

تاريخ النشر: 2024/12/22

تاريخ القبول: 2024/11/15

تاريخ الاستلام: 2023/11/21

## ملخص:

للتب تاريخ، كما أن للناس تاريخهم، ونحن لا نفهم حاضر الناس ما لم نقف على ماضيهم وكذلك الأمم، فإننا لا نفهمها في يومها إلا بقدر ما نعرف عن أمسها، ولفهم حاضر الطب يجب علينا أن نعرف ماضيه. حيث تم التطرق الى تاريخ الطب في الحضارات القديمة كالحضارة اليونانية، والحضارة الرومانية، والحضارة البيزنطية؛ وصولا الى الطب في الحضارة الإسلامية مع شيء من التفصيل كذكر أشهر الأطباء في الحضارات القديمة، وتم التطرق إلى إسهامات الحضارة الإسلامية في علم الطب وذكر جيل العمالقة من الأطباء والممرضات، بالإضافة إلى أهم المستشفيات الإسلامية "البيمارستانات"، والتكوين الطبي في الجزائر على عهد الحضارة الإسلامية (تهيرت، بجاية وتلمسان).  
كلمات مفتاحية: الطب، التكوين الطبي، تاريخ الطب، الحضارات القديمة، الحضارة الإسلامية.

## Abstract:

Medicine has a history, just as people have their own, and we do not understand the present of the people unless we look at their past as well as that of the nations. We do not understand them in their day except to the extent that we know about their yesterday, and to understand the present of medicine, we must know its past. The history of medicine in ancient civilizations such as Greek civilization, Roman civilization, and Byzantine civilization was discussed. Coming to medicine in Islamic civilization, with some detail, such as mentioning the most famous doctors in ancient civilizations. The contributions of Islamic civilization to medical science were discussed, and the generation of giants of doctors and nurses was mentioned, in addition to the most important Islamic hospitals, "Bimaristans," and medical training in Algeria during the era of Islamic civilization. (Tahirt, Bejaia, and Tlemcen).

**Keywords:** medicine; medical training; history of medicine; ancient civilizations; Islamic civilization.

## 1. مقدمة:

حينما نقر بأهمية تاريخ الطب بصورة عامة عند اليونان، الرومان، والبيزنطيين؛ نكون قد وضعنا أنفسنا أمام تاريخ الطب العربي بصورة خاصة، فقد كان للعرب دور كبير في تاريخ الطب، فبظهور الإسلام وخروج العرب من الظلمات إلى النور ولدت الحضارة العربية الإسلامية التي استمدت من الحضارات القديمة علومها، فأحييت تلك العلوم ورعتها وحفظتها تراثاً للبشرية عبر التاريخ، فعمل العرب على تعريب العلوم الدخيلة واقتباسها ليجعلوها قاعدة لانطلاقهم العلمية ولم يكن النقل قضية كماليات فحسب بل لجأ إليه العرب لحاجتهم الماسة (هيكل، 1991، صفحة 3). ولم تقف الحضارة العربية عند حد الاقتباس، بل بلغت دور الإبداع، فصنف العرب المراجع الطبية التي تضمنت تجاربهم الخاصة، وانطوت على الكثير من مكتشفاتهم المهمة في الأمراض والعلاج وطوروا العناية بالمرضى، واهتموا بالصحة العامة، ففتحو المستشفيات وأنشئوا المدارس الطبية.

انطلاقاً مما سبق، نطرح الأسئلة التالية كيف نشأ الطب والتكوين الطبي في الجزائر، وكيف نشأ وتطور على مدار الحضارات التي تعاقبت على شمال إفريقيا بالتركيز على الحضارة اليونانية والرومانية والبيزنطية والحضارة الإسلامية.

## 2. الطب عند اليونان:

إن موطن أول حضارة يونانية كان في جزيرة "كريت" سكانها من الإغريق الأوائل، استوطنوها في عصور ما قبل التاريخ، وخلفوا فيها سجلات هامة (الشطي، 1967، صفحة 21). كما أنه لا يستطيع أحد أن ينكر تأثير الحضارة اليونانية في مهنة الطب والعلاج، فقد كانت أبحاثهم ونظرياتهم كثيرة. وأخذ المؤلفون يتباهون في نسبة الطب إلى هذه الأمة، واجتمعت كل الحضارات حول هذه الحضارة كما أنه كادت كلمة الأطباء تجمع على أن الطب يوناني النشأة

والدليل على ذلك اتخاذهم شعار "إسكليپوس"، العصا والثعبان رمزا للطب (أبو الرب، 1991، صفحة 45).

لقد كان للحضارة اليونانية تأثيرا كبيرا على مهنة الطب والعلاج واشتهرت منها مدارس أثينا و كوس و كينيديوس حيث نبغ من هذه المدارس الكثير من الأطباء العلماء منهم: أبو الطب أبقرات، وأبو العقاقير ديسكوريدس وجالينوس وغيرهم من العلماء الذين أثروا المكتبة الطبية بما استحدثوا أو نقلوا من علوم الطب حتى بدوا وكأنهم هم الذين وضعوا هذا العلم (أبو الرب، 1991، صفحة 45).

## 1.2 أطباء العهد اليوناني:

-الطبيب أسكولاببيوس "اصقلاب" Asklipos esculape "الملك، النبي، الحكيم، الإلهي" اختلفت الروايات حول هذا الطبيب الذي اشتق اسمه من النور والهاء، هناك من يقول إنه إله اليونانيين وأنه بمثابة إله الطب والشقاء لديهم، وقيل بأنه النبي إدريس عليه السلام... إلخ. كما لقبوه بالملك والنبي والحكيم والإلهي، ومهما اختلفت الروايات حول "إسكولاببيوس" فالشيء المؤكد أن اليونانيين القدامى عبده وبنوا له المعابد التي استقطبت المرضى للشفاء؛ ولد بجزيرة وقو في بحر إيجه تبعد 4 كلم عن سواحل آسيا، تتلمذ وتعلم الطب على يد هرمس المصري، كان طبيب حاذق برع في فنه حتى قدسه الناس، كما اعترف له الكثير بأنه كان يتمتع بالخلق والصبر، كما انكشفت له أمور عجيبة في مجال الطب والعلاج جعلته يعالج العديد من الحالات التي كان ميؤوسا من شفائها، الأمر الذي جعل البعض يعتقد بأنه يحي الموتى أو أنه إله (أبو الرب، 1991، صفحة 49).

-أبقرات Hippovrates أبو الطب: ولد سنة 460 ق م في جزيرة كوس، وهي أحد أهم ثلاثة أماكن يدرس فيها الطب مع رودس وفنديس هو من نسل أسكولاببيوس، ولده يسمى إيراقليدس وأمه فركسيثا، اعتبره المؤرخون بأنه أعظم الأطباء في التاريخ ولقبوه بعدة ألقاب منها "أبو الطب" وليس ذلك بالغريب، فقلد رفض فلسفة أن يكون المرض سببه الأرواح الشريرة والشياطين بل أن أسبابه مادية، فأخرج بذلك الطب من دائرته الضيقة ومن سيطرة السحرة

والمشعوذين ورجال الدين، كما بدأ ينشر الطب وصناعاته وكسر من حوله نطاق السرية وعلمه للغرباء.

-أرسطو "المعلم الأول": اسمه أرسطو طاليس ولد في جيرا سنة 384 ق م، اشتهرت عائلته بالطب، لقبه العرب باسم المعلم الأول، واشتهر كفيلسوف أكثر منه طبيب، وكان يفضل أن يلقي محاضراته وهو يمشي مع طلبته فسمية مدرسته "مدرسة المشائين"، من أشهر مؤلفاته "الحيوان".

- تيوفراست Theophrastus 372 – 285 ق م: يسمى ثاوفرسطس، اشتهر كعالم للنبات أكثر منه كطبيب، له كتاب "الطبائع" تكلم عن النباتات والأعشاب، شرح فيه خواص النباتات وفائدتها الطبية في معالجة الأمراض لذلك يعتبر أبا لعلم النباتات والبعض يعتبره مؤسساً لعلم الأدوية والعقاقير، كان تلميذاً لأفلاطون وصديقاً لأرسطو (أبو الرب، 1991، صفحة 51).

## 2.2 الطب في الإمبراطورية الرومانية:

لم تكن صناعة الطب في نظر الرومانيين محترمة على الرغم من عنايتهم بتنمية قوى الإنسان الجسمية وملكاته العقلية، لذلك لم يقدموا على تعلم الطب وظلوا حوالي ستة قرون دون أن يشتهر بينهم طبيب، وكان الطب في روما مهنة يحترفها العبيد والمعتوقون، خلافاً لما كان عليه الأمر في مصر واليونان وغيرها من البلدان، كان أكثر أطباء الرومانيين في بادئ الأمر من اليونانيين وكان النبلاء يلحقون بحاشيتهم أطباء عبيد يصطحبونهم في رحلاتهم وغزواتهم، وكان الأطباء الأحرار يستخدمون أيضاً أطباء عبيد ويقسون عليهم في عتقهم وتحريرهم لئلا ينافسوه بعد تحريرهم.

غير أن هذه الحالة لم تطل بل طرأ على مهنة الطب في إمبراطورية الرومان تبديل كبير، إذ قصد روما أطباء يونانيين ومصريين، وزاد فيها عدد الأطباء من الأحرار والعبيد حتى عاد في كل مدينة كبيرة أو صغيرة طبيب حكومي، كما أنه التحق الأطباء بالجيوش البحرية والبرية وكان عددهم في كل فيلق لا يقل عن 24 طبيب.

وقد كان يوليوس قيصر سخيا في إعطاء الجنسية الرومانية لعدد من مشاهير أطباء الإغريق، غير أن أوضاع هؤلاء الأطباء لم تتحسن ولم تستقر أمورهم في أيام خلفه الإمبراطور أوغسطس الذي كان يشكو من مرض لم يستطع أطباء عصره تشخيصه ومعالجته (الشطي، 1967، صفحة 40).

### 3. طبقات الأطباء في الإمبراطورية الرومانية:

كان الرومانيون يستخدمون الأطباء لقاء أجر معروف وكان من بين هؤلاء أطباء رسميون ينتخبون من قبل الملاكين يخضعون لاختبارات تثبت حذقهم في الطب، ظهر فيهم حوالي 400 قبل الميلاد، ديوقليس دو كاريستوس حيث أنه بين أن الحمى عرض لا مرض، والطبيب ده موسته في عهد نيروه الذي كان يهتم بالطب الباطني (الشطي، 1967، صفحة 44).

#### 1.3 أشهر الأطباء الرومانيين (الشطي، 1967، صفحة 100):

- أسقليبياديس: ولد سنة 124 ق م في بورصة، تعلم في مدارس أثينا والإسكندرية، ثم طاف في البلاد الواقعة على شواطئ البحر المتوسط، تتلمذ على يده الشاعر اوكرت فنشر آراءه وعرف الناس بها، كان أسقليبياديس يختار من الأدوية ما كان سهل الاستعمال يناهز الإفراط في استعمال القصد والمقيئات والمسهلات وكان طبه قائما على الحمية والصيام والتدليك والرياضة وتنظيم العمل، أحبه الرومانيون فعدوه خليفة أسكولاب، ألف ما يقارب العشرين كتابا.

- سورانوس: يعد أول من نصح بالمس المهبلي لتشخيص الاعتلان ومعرفة وضع الجنين في الرحم، وأوصى بقنطرة المثانة قبل خروج الجنين أثناء المخاض ونصح باستعمال كرسي خاص للولادة، وكان خبيرا بطب الأطفال.

- أرشيغن: طبيب سوري حذق في طبه وبراعته في أدبه، ربط العروق وخفف من نسبة الوفيات في بتر الأطراف، كوى بالنار لمعالجة الزيف واستخدم المنظار لفحص الرحم وبتر الأنداء المتسرطنة.

- روفوس ده فه ز: كان حكيما بارعا، أقام في مصر وشرح القردة، عرف التصالب البصري، وقسم الأعضاء إلى حسية وحركية، عرف الطب النفساني ووضع أصول المشاهدة الطبية.

- ديوسقوريدس: ولد في شمال سورية، صحب الجيوش الرومانية في غزواتها، وقد وضع كتباً دون فيها مذكراته الطبية، وذلك في السنة السابعة والسبعين بعد الميلاد، قدر اليونانيون واللاتينيون والعرب آراءه فنقلوها حتى أصبحت دعامة النهضة العلمية في القرون الوسطى (الشطي، 1967، صفحة 101).

- كورنيليوس سلسوس: باحث جليل دون العلوم المعروفة في زمنه وخص منها الطب بثمانية كتب وكان يقول بإتقان، مبينا عدم صحة المقارنة بين جسم حي وجسم ميت، وكان يحذر الأطباء عند معالجتهم الأمراض المستعصية ويوصيهم ببيان إنذارها وعاقبتها لذوي المرضى.

- جالينوس: 130 – 200 م: البديع القول عملاق الطب والصيدلة كلوديوس جالينوس ولد عام 130 م في منطقة تسمى بروجامون، اهتم بعلم التشريح وبالطب من ناحية التجربة والملاحظة، وكان من الأوائل الذين أجروا اختبارات لمعرفة أعمال بعض الأعضاء مثل علاقة الحبل الشوكي بحركات الجسم وطريقة عمل التنفس، كما ألف عددا كبيرا من الكتب في الطب والفلسفة (أبو الرب، 1991، صفحة 62).

#### 4. الطب في العهد البيزنطي وبداية ظهور المسيحية:

لا نستطيع أن نتكلم عن الدولة اليونانية والرومانية دون الكلام عن الدولة البيزنطية التي يعتبرها البعض استمرارا تاريخيا وحضاريا للحضارات السابقة، ولعل الشيء المميز لهذه الدولة الاختلاف الفكري والفلسفي الذي ظهر بظهور المسيحية.

#### 1.4 اليهودية والمسيحية والطب:

كانت الديانة المسيطرة في نهايات تلك الحقبة من الزمن في الديانة اليهودية التي تركزت في منطقة الشام، ثم ظهرت الديانة المسيحية بظهور رسول السلام المسيح عيسى عليه السلام، وفي هذه الفترة امتازت بتقدم العلوم الطبية بشكل واسع، بعد تلك الفترة نقلت عاصمة الإمبراطورية الرومانية من روما إلى بيزنطة عام 330م على يد الملك قسطنطين الأول

اعتنق الديانة المسيحية وتأسست مدرسة الطب في أنطاكية شمال سوريا عام 352م وأصبحت من أكبر مدارس عصرها، ومن العلوم التي ازدهرت فيها علوم الحكمة واللاهوت. وأيضا برزت الرها كمدرسة طبية كان الاهتمام بها شديدا فأنشأ بها مستشفيان كبيران وكانت الرها آن ذاك أثينا الشرق (وهي مدينة قديمة يرجع تاريخها لقبل الميلاد بثلاثمائة سنة) واسطة بين فارس وروما ومصر واليونان، فجمعت مجموعة كبيرة من الآراء والعلوم والفلسفات.

ظهرت في تلك الفترة طائفتان كبيرتان كان لهما أثر كبير على العلوم ومنها علوم الطب هما: النساطرة Nestoriens واليعاقبة Jacobites كان الاختلاف بينهما طبيعة السيد المسيح فمنهم من قال بالوهية المسيح على حساب بشريته ومنهم من خالفهم الرأي (أبو الرب، 1991، صفحة 66).

**أولا: النساطرة Nestoriens:** هي حركة فكرية قامت في أنطاكية في القرن الخامس الميلادي عن ازدواجية شخصية المسيح بين الناسوتية واللاهوتية، وكان اعتقاد النساطرة أن ناسوتية السيد المسيح تتغلب على اللاهوتية فيه. من أشهر علمائهم "كيودورس" و"ديودورس" ومن أكبر مؤيديها نسطوريوس بطيريك الذي اعترض على تسمية مريم العذراء والدة الإله.

تفرق النساطرة في بقاع الأرض المحيطة بهم حاملين معهم أفكارهم وعلومهم فوصلوا إلى الرها وبلدان أخرى مما أدى إلى نشر علومهم وبما فيها علوم الطب حيث عملوا بالترجمة والتأليف ونشر العلوم الطبية واشتهر منهم عدد من الأطباء من أمثال: ابن آثال طبيب معاوية، ريثادوف طبيب الحجاج، وأيضا كان لهم نصيب في المساهمة بإنشاء بيت الحكمة زمن هارون الرشيد.

**ثانيا: اليعاقبة Jacobites:** ينسب اليعاقبة إلى يعقوب السروجي واعتقدوا أن الصفة الإلهية للسيد المسيح تتغلب على الصفة الناسوتية، وانتشروا في سورية ومصر وبلاد ما بين النهرين ومن أشهر أطباؤهم:

-سرجيوس الرأس عيني: طبيب وفيلسوف وعالم وكيميائي درس في مدرسة الإسكندرية، كان له أثر واضح على مدرسة الطب في سوريا.

-أوديباسوس: اشتهر كطبيب وجراح نقل عن جالينوس، من مؤلفاته موسوعة في الطب من 70 مقالة ضمن أدوية وأغذية معروفة ومصنفة حسب تأثيرها الدوائي ترجمها للعربية عيسى بن يحيى (أبو الرب، 1991، صفحة 68).

-بولس الأجنطي: كتب في أمراض النساء والتوليد، ووضع كتاب في الطب ترجمه حنين بن إسحاق.

لقد جمع كل من النساطرة واليعاقبة بين الفلسفة والدين والطب وتفرقهم في البلدان أصبحت مراكزهم هي الأديرة وأصبحت هذه الأديرة مراكز فكرية وعلمية ودينية، كما أنها كانت مكانا يقصد للعلاج والاستشفاء من الأمراض، فنجدها ذات موقع مميز وبناء له طابع المصححات ومن أشهرها: 1-دير أبي هور في مصر، 2-دير الأعلى بالموصل، اشتهر بعلاج الأمراض الجلدية من جرب وحكة وبثور. 3-دير أيوب بالقرب من دمشق. 4-دير بصري. 5-دير سعيد. 6-دير صيدنايا. 7-دير نجران.

#### 5. إسهامات الحضارة الإسلامية في علم الطب:

الإسلام دين الرحمة والرأفة، دعا إلى مداواة المريض والتخفيف عن ألامه وعلاج ما يشكو منه، وأمر الناس بالبحث عن الدواء الجيد وبزيارة الطبيب المختص. لذلك قال رسول الله: "يا عباد الله تداووا فإن الله تعالى لم يضع داء إلا وضع له دواء" رواه الترمذي.

أمر الإسلام بعلاج داخل الإنسان ثم انتقل تدريجيا لعلاج جسده ومجتمعه، حيث تأسست مدرسة الإسلام الأولى في المسجد وبدأ منها نشر الآداب والسلوك الجيد ومنها الطهارة والصلاة، كما دعا الدين إلى الهدوء النفسي "ألا بذكر الله تطمئن القلوب"، كما دعا إلى الاستفادة من العلوم وعلوم الغير والاتصال بالشعوب المجاورة، وحارب العادات السيئة مثل: السحر، الشعوذة، التنجيم، ودعا للغذاء السليم، ومنع الإفراط في الأكل، دعا للحركة وحارب المسكرات والمخدرات.

كما لفت دين الإسلام انتباه المسلمين لما يدور حولهم من أمور تفيدهم في حياتهم ومنها الطب "يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس" (أبو الرب، 1991، صفحة 90) (النحل، الآية 69).

## 1.5 الطب النبوي:

عرف المسلمون الطب النبوي من خلال أحاديث النبي التي تتضمن علاج بعض العلل والأمراض. وكما وضع الإسلام بعض القواعد التي تؤدي إلى مجتمع صحي منها، الحث على نظافة البدن والطعام والبيوت والشوارع، وبين الإسلام المواد المضرة بالصحة وجعلها من المحرمات، وحث المسلمين على العناية بأجسامهم وصحتهم وعد ذلك من الإيمان.

فقال: "المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف" رواه مسلم، كما قال: "إذا سمعتم بالطاعون بأرض فلا تدخلوها وإذا وقع بأرض أنتم بها فلا تخرجوا منها" رواه البخاري. وقال: "إنما الحمى من فيح جهنم فابردوها بالماء" وهو ما سمي بالعلاج بالك مادات، وقال: "عليكم بالشفائين العسل والقرآن"، فالقرآن علاج نفسي، والعلم الحديث يبين مدى أهمية العسل في العلاج ضد الكثير من الأمراض ولذلك لما له من فوائد كبيرة، فالعلاج النبوي كان على ثلاثة أنواع:

أدوية إلهية، أدوية طبيعية، أدوية مركبة بين الإثنين (الشطي، 1967، صفحة 165).

## 2.5 جيل العمالقة من الأطباء والممرضات:

من أشهر الجراحين المسلمين:

-أبو القاسم الزهراوي، المتوفي سنة 428هـ، صاحب كتاب "التصريف لمن عجز عن التأليف" وهو أول موسوعة في الجراحة والطب، الزهراوي أول من ابتدأ جراحة الأعضاء الدموية، مثل خياطة الشرايين في حالة قطعها، وربطها في حالة النزيف، وهو أول من استعمل الحرير في خياطة الجروح، وأسلاك الذهب في تقويم الأسنان، وهو أول من ابتكر الخياطة التجميلية، وقد نصح الزهراوي باستخدام مساعدات وممرضات من النساء في حالة إجراء عملية جراحية لامرأة، لن ذلك أقرب إلى الطمأنينة.

ومن بين أشهر الأطباء العرب نذكر ثلاثة منهم في ثلاثة أجيال مختلفة هم، أبو بكر الرازي (860-932م)، وابن سينا (980-1037م) وكلاهما ولدا في الشرق العربي، وابن زهر (1094-1162م) ولد بالأندلس وكان ثلاثهم روادا للطب والمستشفيات في عصرهم لذا توفرت لهم الإمكانيات اللازمة لدراسة حالات مرضاهم وسجلوا تاريخ كل حالة على حدة، وحافضة المستشفيات على هذه السجلات، وكان الأطباء العرب أول من قاموا بالدراسات الإكلينيكية بجوار فراش المريض بالمستشفى (سعاد، 1985، صفحة 27).

### 3.5 ومن أشهر الممرضات العربيات في صدر الإسلام:

-رفيدة الأنصارية، أشهر من عملت بالعلام من النساء أثناء الحروب والغزوات حيث رافقت الرسول في غزوة الخندق سنة 5هـ، وقامت على مداواة الجرحى ومنهم سعد بن معاذ، حيث أمر الرسول لها بخيمة بجواره لتقوم بالإسعاف فكانت بذلك أول مستشفى ميداني (أبو الرب، 1991، صفحة 94).

-نسبية بنت كعب المازنية (أم عمارة)، قالت عنها الباحثة العالمية "أنها كانت من المسلمات اللاتي قمن في الحروب الإسلامية بالدور التي تقوم به في العهد الحاضر منظمات الصليب الأحمر" هي أم عمارة بن عمرو بن بني مازن بن النجار، أسلمت وبايعت الرسول ليلة العقبة، خرجت مع المجاهدين في غزوة "أحد" في اليوم الخامس من شوال من السنة الثالثة للهجرة لتشارك في الجهاد، حيث ظلت تقاتل وتداوي الجرحى.

-أم سنان الأسلمية، أسلمت وبايعت الرسول بعد الهجرة وترجته أن يأذن لها بالذهاب معه إلى خيبر لتجاهد في صفوفه كمرضعة تهتم بالجرحى وتسقي العطشى فأذن لها الرسول وقال: "غني أذنت لبعض بنات جنسك فشاركهن على بركة الله" (سعاد، 1985، صفحة 48).

-أم مطاوع الأسلمية، أسلمت وبايعت الرسول، وتطوعت لتكون ممرضة الجيش بعد فتح خيبر.

أم مطاوع الأنصارية، أسلمت وبايعت الرسول، وغزت معه وروت عنها قائلة: "غزوت مع رسول الله سبع غزوات فكننت اصنع لهم الطعام وأداوي الجرحى وأعتني بالمرضى ...".

أم ورقة بنت عبد الله بن الحارث الشهيدي، سماها رسول الله بالشهيدي، لها حينما أراد الرسول الخروج إلى غزوة بدر قالت له: "أتأذن لي فأخرج معكم وأداوي جرحاكم أمرض مرضاكم لعل الله يهدي لي الشهادة"، فقال: "إن الله مهدي لك الشهادة" ولذلك سماها بالشهيدي (سعاد، 1985، صفحة 49).

#### 4.5 المستشفيات الإسلامية:

وجه المسلمون خلال نهضتهم الكثير من عنايتهم للمستشفيات التي كان يطلق عليها "البيمارستانات" حيث كانت تقوم باستقبال المرضى وعلاجهم، كما انتشرت في مختلف أنحاء العالم الإسلامي في بغداد ودمشق والقاهرة وغيرها، حيث كانت تقدم خدماتها بالمجان تحت إشراف الأطباء المهرة، وهي نوعين، منها ما هو خاص ببعض الأمراض كالأمراض العقلية والجذام، ومنها ما هو عام لجميع الأمراض، وكما أن البيمارستانات منها ما هو ثابت أي في المكان الذي أقيم عليه، ومنها ما كان محمولاً، أي المستشفى الذي ينتقل من مكان لآخر حسب ظروف الأمراض والأوبئة وانتشارها، وينتقل إلى أي بلد خال من البيمارستانات الثابتة، إضافة إلى ذلك، فكرة هذه البيمارستانات تتلخص في أنها مستشفيات مجهزة بكل ما يلزم المرضى وعلاجهم من أدوية وأطعمة وشراب وألبسة وأطباء وصيادلة (فادية، 2006، صفحة 1).

كما أنها تنقسم إلى قسمين، قسم للرجال وآخر للنساء، وكل قسم يحتوي غرف وقاعات منها ما هو للأمراض الداخلية، ومنها ما هو للعيون والكسور والتجبير، وهناك أقساماً خاصة بالنقاهة، وفي هذه الأخيرة كانت يوجد بها موسيقيين ومغنيين لتسلية المرضى (سعاد، 1985، صفحة 49).

#### 6. التكوين الطبي في الجزائر على عهد الحضارة الإسلامية:

لقد استفاد المغرب الإسلامي من الحركة الثقافية والفكرية والازدهار الحضاري والعمراني الذي نشأ مع فترة ازدهار الحضارة العربية الإسلامية، فغدت بلاد المغرب الإسلامي والأندلس مراكز للإشعاع الثقافي والفكري، فقد كانت مدن القيروان وبجاية وتلمسان وفاس وقرطبة مراكز حضارية وعمرانية وثقافية تضاهي مدن دمشق وبغداد والبصرة.

بالحديث عن التكوين الطبي في الجزائر على عهد الحضارة العربية الإسلامية نجد أن مدن بجاية وتميرت وتلمسان ومعسكر ومازونة قد شهدت حضوراً قوياً للتكوين الطبي، فقد العديد من المستشفيات والمصحات وازدهرت بها الجراحة والحجامة وصناعة الأدوية والعقاقير الطبية، كما عرفت هجرت العديد من الأطباء العرب واليهود والأوروبيين خاصة بعد سقوط الأندلس عام 1492م، بما أن اهتمام ملوك وحكام بجاية وتلمسان وتميرت بالعمران والثقافة والفكر والطب جعل هذه المدن تعج بالعلماء والأطباء والصيادلة والحرفيين والأدباء والشعراء نظراً لاهتمام العامة والخاصة بهم، إن حضور الطب والتكوين الطبي في الجزائر على عهد الحضارة العربية الإسلامية يرتبط مع بداية القرن الثالث هجري الثامن الميلادي وتأثير من دولة الأغالبة، حيث كانت مدينة القيروان عاصمة للعلم والثقافة والطب وقد كانت على علاقة جيدة بمدينة تميرت عاصمة الدولة الرستمية، مما ساعد على هجرة العديد من الأطباء العرب واليهود إلى مدن تميرت وبجاية وتلمسان وقد تطور هذا الوجود مع ازدهار دولة المرابطين والموحدين والرستميين والزيانيين وقد استمر إلى غاية الوجود العثماني التركي.

#### 1.6. التكوين الطبي في تميرت:

مدينة تميرت أسسها عبد الرحمان بن رستم سنة 144هـ/761م، غرب المدينة القديمة تاقدمت، سكنتها قبائل مراصة وصنهاجة، اختارها الرستميون لموقعها المشرف على الصحراء وارتباطها بالطريق التجاري لنفوسة طرابلس مهد المذهب الشيعي (الميلي، 2007، صفحة 563).

لقد ازدهرت مدينة تميرت على عهد الرستميين حيث نشط الناس لإنشاء العمارات والقصور والحصون والمنازل لعامة الناس فيما بنا الأمراء قصور ومنتزهات، كما عرفت المدينة حركة صناعية وحرفية وتجارية نشطة، فكانت تصنع بهذه المملكة نسيج الصوف والكتان وأواني الخزف والطين والزجاج والأثاث من الخشب المنحوت والمخروط والمموه والمرصع بالعاج أو الصدف.

وقد نشأت الدولة الرستمية مع بداية تاريخ المسلمين العلمي، حيث اهتم الرستميون بنقل الكتب التي تظهر بالمشرق منبع للحركة الفكرية الإسلامية، فبقدر عنايتهم بالعلوم الدينية من فقه وتفسير وحديث، اهتموا بعلم الكلام والأخبار والأشعار والعلوم الرياضية واشتهروا بالتنجيم، والإمام عبد الرحمن بن رستم كان رجل سياسة وفقه وتفسير وابنه الإمام عبد الوهاب نبغ في العلوم الدينية، كما ارتبط الإمام أفلج بن عبد الوهاب في الأدب والشعر. ويتحدث المؤرخين أن تهرت أصبحت معدن للعلم والأدب ومحط رجال الطلبة حتى قال فيها عبد الله البنا: "يفضلونها على دمشق وأخطئوا وعلى قرطبة وما أظنهم أصابوا" (الميلي، 2007، صفحة 553)، حيث كانت تهرت عامرة بكتب النقل والعقل، بها مكتبة تدعى المعمومة قد حوت الآلاف من المجلدات ولما دخل الشيعة المدينة أحرقوا مكتبتها ولم يبق منها إلا كتب للرياضة والفنون الدنيوية.

وبالحديث عن التكوين الطبي في مدينة تهرت، فيجب القول أن للعلاقات التاريخية التي ربطت بين دولة الأغالبة ودولة الرستميون وبين مدينة القيروان ومدينة تهرت حيث كانت القيروان عاصمة العلم والثقافة والطب مما ساعد على هجرة العديد من الأطباء والصيادلة العرب واليهود من أهمهم الطبيب إسحاق بن عمران البغدادي والصيدلي يوحنا الموسوي (Khiati, 2000, p. 42)، والطبيب محمد بن سعيد طبيب الخليفة عبد الرحمن بن رستم والطبيب اليهودي يهوذا (Khiati, 2000, p. 42). كل هؤلاء الأطباء العرب واليهود كانوا مقربين من ملوك الدولة الرستمية.

أهم الأطباء في مدينة تهرت: الطبيب إسحاق بن عمران البغدادي (293هـ، 905م)، الصيدلي يوحنا الموسوي (155هـ، 772م) (العرباوي، 2009)، الطبيب محمد بن سعيد طبيب الخليفة عبد الرحمن بن رستم والطبيب اليهودي يهوذا (Khiati, (Yahouda Ibn Qaraich, 2000, p. 49).

## 2.6 التكوين الطبي في بجاية:

على عهد الدولة الحمادية، تأسست مدينة بجاية حيث شرع السلطان الناصر في بناء مدينة بجاية سنة 460هـ/1067م (الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، 2007، صفحة 800)، على مقربة من المدينة القديمة (بني ملادي) حيث نقل إليها الناس وجعلها عاصمة لدولته وقد عرفت على عهده باسم الناصرية، ولكن غلب على أهلها اسم بجاية.

قال عنها الإدريسي "مدينة بجاية كانت مدينة المغرب الأوسط وعين بني حماد والسفن إليها مقلعة، وبها القوافل منحة، والأمتعة إليها برا وبحرا مجلوبة وللبضائع بها نافقة، وأهلها مياسير تجار، وبها من الصناعات والصناع ما ليس بكثير من البلاد" (الميلي، تاريخ الجزائر القديم والحديث، 2007، صفحة 801) وقد عرفت عن بجاية ازدهار الحياة العمرانية والحضارية والثقافية أيام الحماديين والموحدين ثم الحفصيين حتى عهد الأسبان عام 915هـ، ازدهار الحياة الثقافية والحضارية للمدينة جعلها بحق عاصمة ثقافية وعلمية تدرس بها العلوم العقلية و النقلية على اختلاف فنونها.

وقد جمع العبريني في تراجم أهل القرن السابع فقط كتابه عنوانه "الدراية" وبها تعلم ليونار فبنتيني الإيطالي الرياضي المهندس الشهير، حيث تعلم بها الحساب والجبر والهندسة. وفي المجال الطبي كانت مدينة بجاية على عهد دولة بين حماد، تتوفر على مدرسة ومستشفى يستقطب إلى جانب المرضى العديد من الأطباء والطلبة في مختلف العلوم ومن أهمها العلوم الطبية حتى أن تأثيرها بلغ أوروبا. أهم أطباء مدينة بجاية:

لقد عرفت مدينة بجاية العديد من الأطباء العرب والمهود من أشهرهم الطبيب أبو جعفر عمر بن علي والطبيب أحمد بن خالد ولد بملقة بالأندلس وتوفي ببجاية عام 600هـ/1179م) والطبيب أبو عبد الله محمد بن يحيى بن عبد السلام الذي اشتغل بالطب إلى جانب الفقه والقضاء في مدينة بجاية، كما نجد الطبيب علي بن الطبيب والطبيب ابن أبي المليلح الذي عاش على عهد الأمير عبد الله بن العزيز الحمادي في حدود سنة 571هـ/1166م)،

والطبيب ابن الدراس وهو أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الأموي الذي جاء إلى بجاية سنة 610هـ واشتغل بالطب وألف فيه ثم رحل إلى تونس على عهد السلطان الحفصي المنتصر بالله توفي سنة 1271، كما نجد الطبيب محمد الحسن بن ميمون التميمي الذي اشتغل بالطب والفلسفة والتاريخ، والطبيب القاسم ابن زنتون والطبيب علي بن عمران بن الأساطير والطبيب عبد الحق ابن إبراهيم بن سبان، جاء إلى بجاية اشتغل بالطب وتقرب من ملوكها، والطبيب تقي الدين بن الخطاب أبو العباس الجاد الأصفهاني، والطبيب أبو إسحاق إبراهيم الداني والطبيب ابن النباش وهو عبد الله محمد بن عبد الله بن أحمد البجاوي، والطبيب المشدالي وهو أبو الفضل محمد ابن محمد أبي القاسم، والطبيب أبو محمد عبد الحق والطبيب الدلسي والطبيب أبو عبد الله محمد بن عبد الرحمان الخزرجي والطبيب علي بن حمزة الحكيم جاء إلى بجاية واشتغل بالطب والتأليف وصناعة الأدوية (Khiati, 2000, pp. 51,56).

كل هؤلاء الأطباء زاروا مدينة بجاية واستقروا بها ومارسوا في كثير من الأحيان التطبيب والجراحة وصناعة الدواء والتأليف، إلى جانب اشتغال بعضهم بالإمامة والتدريس والقضاء، نظرا للاهتمام الذي كان يوليه حكام وسلطين بجاية لأهل العلم والفكر والثقافة، إلى درجة أصبحت بجاية مزارا للعلماء والطلبة من المشرق والمغرب وجنوب أوروبا.

### 3.6 التكوين الطبي بتلمسان:

لقد برز الدور الريادي لمدينة تلمسان في المجالات السياسية والاقتصادية والتجارية والثقافية والفكرية خلال الحقبة الإسلامية وخاصة في فترة حكم الدولة الإدريسية (776م – 909م) وحكم الدولة المرابطية (1079م – 1145م) وقد شهدت قفزة نوعية في المجال الثقافي والفكري والعمراني على عهد حكم سلاطين وملوك الدولة الموحدية (1121م – 1269م) في عهد السلطان عبد المؤمن بن علي مؤسس الدولة (فركوس، 2010، صفحة 25، 34)، حيث عرفت المدينة أهم الإنجازات العمرانية من قصور ومستشفيات ومدارس ومساجد على عهد السلطان يغمراسن بن زياد والسلطان أبو حمو موسى الثاني، حيث غدت تلمسان حاضرة من

أعظم حواضر العالم الإسلامي لما احتوته من علماء وأطباء وأدباء وشعراء وحرفيين، وقد استمرت في أداء دورها السياسي والفكري والثقافي إلى فترة التواجد التركي العثماني. ازدهار الحياة الثقافية والفكرية والفنية والعمرانية في مدينة تلمسان مما جعلها عاصمة للفكر والمعرفة والفن لقرون عديدة أهلها لتكون مركزا للإشعاع الثقافي والعلمي، وإلى جانب ازدهار العمران والتجارة والحرف والفنون. ارتبطت المدينة بالتكوين العلمي في مختلف العلوم الدينية والدنيوية، وإلى جانب علوم القرآن والسنة والفقه والشريعة والقانون والتصوف واللغة والنحو والشعر والخطابة والرحلات وعلم التاريخ، برزت المدينة ومدارسها في تعليم علوم الرياضيات والحساب والجبر والهندسة والفلك وعلم التنجيم إضافة إلى العلوم الطبية من طب وجراحة وصيدلة وصناعة الأدوية (Filali, 1983). كما تم تأسيس مدارس تلمسان الخمسة الشهيرة والتي كانت بحق معاهد للدراسات العليا في مختلف العلوم الدينية والدنيوية.

مدرسة أبو حمو موسى الأول (707.718هـ)، المدرسة التاشفينية التي بناها السلطان أبو تاشفين الأول (718.737هـ)، المدرسة المرينية التي بناها السلطان أبو الحسن المريني (748هـ/1327م) بقرية العباد حيث ضريح الولي الصوفي أبو مدين شعيب الغوث، مدرسة أبي عنان (754هـ/1333م) التي نسبت بجانب ضريح الولي الصالح سيدي الحلوي، المدرسة اليعقوبية التي بناها أبو حمو موسى الثاني (760.791هـ) بجانب ضريح الفقيه إبراهيم المصمودي.

عرفت مدينة تلمسان إنشاء أول مستشفى قبل حكم أبي حمو موسى الثاني، شيده السلطان أبي يعقوب في مدينة المنصورة في ضواحي تلمسان واستطاع أن يجهزه ويوفر له العديد من الأطباء والعلماء لصناعة الأدوية وتكوين طلبة الطب والصيدلة وتقديم الأدوية بالمجان للمرضى (العرباوي، 2009، صفحة 177).

أشهر الأطباء في تلمسان:

كانت تلمسان بالنظر إلى خصوصياتها كعاصمة للعديد من الدول الإسلامية على عهد الموحدين والمرابطين والزيانيين ملتقى الفكر والثقافة والعلوم والفنون، تأثرت بعواصم المغرب وبلاد الأندلس مراكش وفاس وإشبيلية وقرطبة حيث توافد عليها العديد من رجال الدين والعلماء الشعراء والأطباء، خاصة بعد سقوط الأندلس عام 1492م، اهتم أمراءها وسلطانها بالفكر والثقافة والعلوم فأنشئوا المدارس والمساجد والمستشفيات وقد كان حض الطب وفيرا بإنشاء مستشفى المنصورة وتشجيع الأطباء والطلبة جعل حركة العلوم الطبية تزدهر خاصة مع توافد العديد من الأطباء العرب واليهود والأوروبيين على تلمسان بعد سقوط الأندلس.

ولقد استمر الاهتمام بالطب والأطباء على عهد الأتراك وما بعده حيث نجد من أشهر الأطباء الذين مارسوا الطب في تلمسان: سعيد بن أحمد المقري التلمساني (998هـ/1507م)، الطبيب محمد ابن سليمان ابن التلمساني الشهير بلقب الجازولي والطبيب محمد بن أحمد الشريف الحسني والطبيب سيدي بلال والطبيب أحمد بن علي الراشدي المعروف بابن سحنون صاحب كتاب "المئة القدوسية في الأدوية الخموسية" والطبيب ابن مريم التلمساني صاحب كتاب "فتح الجليل في أدوية العليل" إضافة إلى الطبيب محمد بن أحمد الشريف الجزائري صاحب كتب "الدرر المصون في تدبير الوباء والطاعون" والطبيب أبو رأس محمد الناصري المعسكري (1750 - 1823م)، والطبيب محمد ابن علي ابن الأمين والطبيب أحمد بن القاسم والطبيب محمد ابن علي بن باديس الصنهاجي والطبيب عبد الله بن عزوز المراكشي المعروف بالطبيب سيدي بلال والطبيب نور الدين ابن نصر الدين الشافعي المكي، كما نجد الطبيب أحمد ابن قاسم ابن محمد ابن سامي التميمي البوني أبو العباس (1653م-1726م) له كتابان هما "أهل القريحة في الأدوية الصحيح" وكتاب "مبين المسارب في الأكل والطب مع المشارب" والطبيب خليل ابن إسماعيل الجزائري، ويعتبر الطبيب عبد الرزاق ابن حمدوش الجزائري (1107هـ - 1200هـ) من أشهر الأطباء الجزائريين في فترة الأتراك.

## 7. خاتمة:

بالحديث عن ظهور الطب والتكوين الطبي بالجزائر فإنه قديم قدم الحضارات التي تعاقبت على شمال إفريقيا فقد أثبتت الدراسات التاريخية وجود الطب والأطباء على عهد الفينيقيين والرومان والبيزنطيين، وقد ظهر في البداية على شكله التقليدي المرتبط بالعرافة والسحر أو التداوي بالأعشاب، ثم ما لبث أن تطور مع الحضارة الإسلامية خاصة مع الحركة الأدبية والعلمية التي شهدتها بلاد المغرب الإسلامي وبلاد الأندلس على عهد الدولة المرابطية والدولة الموحدية والدولة الحمادية والدولة الزيانية، حيث تحولت العديد من المدن والحواضر إلى منارات للعلم والمعرفة والنشاط الفكري والعلمي المزدهر، فقد كانت تهرت وبجاية وتلمسان ومعسكر ومارونة والمدينة وقسنطينة عواصم ثقافية وعلمية اشتهرت بمدارسها وعلمائها وأطبائها وصيادلها وإنتاجها العلمي والفكري في العلوم النقلية والعلوم العقلية، استمرت على مدار الحضارة الإسلامية من عهد الفتوحات الإسلامية إلى فترة التواجد العثماني التركي.

## 8. قائمة المراجع:

1. أحمد شوكت الشطي. (1967). تاريخ الطب وآدابه وأعلامه. منشورات مديرية الكتب الجامعية.
2. حسين حسن سعاد. (1985). تاريخ وآداب التمريض (الإصدار 1). الكويت: دار القلم للنشر والتوزيع.
3. صالح فركوس. (2010). محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، (1830-1925). الجزائر: مديرية النشر لجامعة 08 ماي 1945 قالمة.
4. صلاح الدين أبو الرب. (1991). الطب والصيدلة عبر العصور (الإصدار 1). عمان: الأهلية للنشر والتوزيع.
5. عمر العرابوي. (2009). التميز خصوصية الطب والأطباء بتلمسان. مجلة المواقف، 4(1)، الصفحات 165-184.
6. فؤاد حميدو محمد فادية. (2006). البناء الاجتماعي للمؤسسات الطبية - دراسة أنثروبولوجية-. الاسكندرية: دار المعرفة الجامعية، الأزاريطة.
7. مبارك الميلي. (2007). تاريخ الجزائر القديم والحديث (المجلد 2). الجزائر: دار الكتاب العربي.
8. مبارك الميلي. (2007). تاريخ الجزائر القديم والحديث (المجلد 3). الجزائر: دار الكتاب العربي.

9. نعمة الله، إلياس مليحة هيكّل. (1991). موسوعة علماء الطب مع اعتناء خاص بالأطباء العرب (الإصدار 1). بيروت، لبنان: دار الكتب العلمية للنشر والتوزيع.
10. Filali, A. (1983). Tlemcen à l'époque des Zianides. Thèse d'état en l'Histoire de l'Islam. Alger.
11. Khiati, m. (2000). Histoire de la médecine en Alger, De l'antiquité à nos jours. Alger : ENEP.